

التفسير المختصر - سورة العنكبوت (٢٩) - الدرس (٩-١) : تفسير الآية ٢ ، أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا أمنا وهم لا يفتنون.....

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٥-٠٩-٢٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه، واجعلنا من يسْتَمِعُونَ القول فَيَتَبَعُونَ أَحْسَنَهُ وَأَدْخِلُنَا بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ.

أيها الإخوة الكرام، فالآلية الثانية من سورة العنكبوت، وهي قوله تعالى:
﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا أَمْنًا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَمْ يَعْلَمُنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (٣)﴾

[سورة العنكبوت]

تُعدّ هذه الآية من أخطر الآيات في حياة المؤمن، لماذا؟ لأن الله سبحانه وتعالى خلقَ الخلقَ في الدنيا ليَمْتَحِنُهُمْ، والأصل في الحياة الدنيا أنها دار ابتلاء، ونحن في حياة هي في جوهرها دار ابتلاء والآخرة دار جزاء، وهي في جوهرها دار تكليف، والآخرة دار تشريف، وهي في جوهرها دار عمل، والآخرة دار عطاء.

نظام الحياة الدنيا كما قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ (٦)﴾

[سورة الإنشقاق]

لن تَصِلَّ إلى شيء إلا بعد بذل الجهد المكافئ له، أما في الآخرة فالنِّظام آخر؛ بمجرد أن يُخْطَرَ بيالكَ شيء تَجِدُهُ أمامكَ، قال تعالى:

﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْتُوفًا (١٦)﴾

[سورة الفرقان]

قال تعالى:

﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ (١٥) يَقُولُ أَنْنَكَ لَمِنْ الْمُصَدِّقِينَ (١٦) أَنِّي مِنْكُمْ وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَنِّي لَمَدِينُونَ (١٧) قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطْلَعُونَ (١٨) فَأَطْلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ (١٩)﴾

[سورة الصافات]

نظام الآخرة نظام عطاء، ونظام راحة وطمأنينة واستقرار، ولا هم ولا حزن، ولا حروب ولا تنافس، ولا نقدم بالسُّنَّ، ولا تتکُّس شَيْخِي ولكن إكرامٌ مُسْتَمِرٌ إلى أبد الأبدية، أما ثمن هذه الحياة الآخرة أن تأتي إلى الحياة الدنيا وأن تُمْتَحَنَ، فالامتحان مِحْوَرُ الحياة الدنيا، وقد وردَ عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال:

((إنَّ هذِه الدُّنْيَا دَار التُّوَاء لَا دَار اسْتِوَاء، وَمِنْزِل تَرَحٍ لَا مِنْزِل فَرَحٍ، فَمَنْ عَرَفَهَا لَمْ يَفْرَحْ لِرَحَاء، وَلَمْ يَحْزُنْ لِشَقَاء، وَجَعَلَهَا اللَّه دَار بُلْوَى، وَجَعَلَ الْآخِرَة دَار عَقْبَى فَجَعَلَ بَلَاء الدُّنْيَا لِعَطَاء الْآخِرَة سَبِيلًا، وَجَعَلَ عَطَاء الْآخِرَة مِنْ بُلْوَى الدُّنْيَا عِوَضًا، فَيَأْخُذُ لِيُعْطى وَيُبَتَّى لِيُجْزَى.)) أَرَدْتُ مِنْ هَذِه الْمُقْدِيمَة أَنْ يَعْرِفَ الإِنْسَان حَقِيقَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، مَحْوِرُهَا الْابْتِلاءُ وَالْامْتِحانُ، وَقَدْ سُئِلَ الْإِمام الشافعِي رَحْمَهُ اللَّهُ أَنَّدْعُوا اللَّهَ بِالْابْتِلاءِ أَمْ بِالْتَّمْكِينِ؟ فَتَبَسَّمَ وَقَالَ: لَنْ تُمْكَنْ قَبْلَ أَنْ تُبَتَّلَى! وَاللَّهُ تَعَالَى قَالَ:

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنَّ كُنَّا لِمُبْتَدِئِينَ﴾ (٣٠)

[سورة المؤمنون]

وقال تعالى:

﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾ (١٠٦)

[سورة الصافات]

سَيِّدُنَا إِبْرَاهِيمَ كَانَ ابْتِلَاؤُهُ عَظِيمًا فَقَدْ أَمْرَأَنِ يَذْبَحَ ابْنَهُ، هَلْ يَسْتَطِيعُهَا أَحَدٌ؟! وَهَذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَهَبَ إِلَى الطَّائِفَ فَكَذَّبُوهُ وَسَخَرُوا مِنْهُ وَرَدُّوا دَعْوَتَهُ وَضَرَبُوهُ، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ نَاصِرٌ نَبِيِّهِ، وَفِي الْهِجْرَةِ وُضِعَتْ مائَتَنَا نَاقَةٌ مِنْ أَجْلِ مَنْ يَأْتِي بِهِ حَيًّا أَوْ مَيِّتًا! فَلَفِيَهُ سُرَاقة، فَقَالَ يَا سُرَاقة: كَيْفَ بِكَ إِذَا لَبِسْتَ سِوارِي كِسْرَى؟! الْحَقِيقَةُ الْمُسْلِمُونَ وَمَعْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَرَّوْنَا بِامْتِحانٍ لَا يُحْتَمِلُ فِي غَزْوَةِ الْخَنْدَقِ، قَالَ تَعَالَى:

﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتْ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظَنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَ﴾ (١٠)

[سورة الأحزاب]

حَتَّى قَالَ بَعْضُهُمْ: أَيَعِدُنَا صَاحِبُكُمْ أَنْ تُفْتَحَ عَلَيْنَا بِلَادَ قِيَصَرِ وَكِسْرَى وَأَحَدُنَا لَا يَأْمُنُ أَنْ يَقْضِيَ حاجَتَهُ!! قَالَ تَعَالَى:

﴿وَإِذْ زَاغَتْ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظَنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَ﴾ (١٠)

[سورة الأحزاب]

ولكن قَالَ تَعَالَى:

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ (٢٣)

[سورة الأحزاب]

وَكَذَا بِحُنَينَ قَالَ تَعَالَى:

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَينٍ إِذْ أَعْجَبْتُكُمْ كَثُرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحِبَتْ ثُمَّ وَلَيْتُمْ مُدْبِرِينَ﴾ (٢٥)

[سورة التوبه]

لَمَّا جَسَمَ يَفْقِدُ مِنَاعَتَهُ فَإِنَّهُ يَنْهَا لِأَدْنَى مَرَضٍ، اللَّهُ عَزَّ وَجَلَ يَمْتَحِنُ الْمُؤْمِنَ وَكُلُّ امْتِحانٍ يَسْوَقُ لَهُ مُشْكِلاً، فَيَدْعُو اللَّهَ فَيُبَيِّنُهُ اللَّهُ مِنْهَا وَيَقُولُ بِقُدْرَةِ اللَّهِ وَرَحْمَةِ اللَّهِ، وَبِعِلْمِ اللَّهِ وَحْفَاظِهِ، فَالْجِسْمُ لَمَّا

نُعْطِيهِ جُرْتُومَا مُضَعَّفًا، يصْنَعَ مَصْلٌ مُضَادٌ يُصْبِحُ مُحَصَّنًا ضِدَّ الْكُولِيرَا وَإِذَا أَعْطَيْنَاهُ الطَّاعُونَ الْمُضَعَّفَ فَيَصْنَعُ الْجِسْمَ مَصْلٌ مُضَادًّا لِّلْطَّاعُونَ حِينَهَا يُصْبِحُ مُحَصَّنًا ضِدَّ الطَّاعُونَ، فَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَ يُعْطِي مُشْكِلَاتٍ هِيَ مِنْ أَجْلِ أَنْ تُحَصِّنَ الْإِنْسَانَ، وَالْمُؤْمِنُ كُلُّمَا تَقَدَّمَ بِهِ السَّيْنَ أَصْبَحَ كَالْجَبَلِ، لَوْلَا هَذِهِ الْامْتَحَانَاتِ الْمُتَتَالِيَّةِ، تَدْعُ اللَّهَ فَيُسْتَجِيبُ لَكَ وَيَقِيكَ وَيَرْفَعُ ذِكْرَكَ، فَلَوْلَا هَذِهِ فَلَنْ تَقُوَى، أَذْكُرْ أَنَّمَا دَخَلْتُ لِمَعْمَلِ خُيُوطِ نَايِلُونَ، أَوْلَى خُروجِ الْخَيْطِ، أَعْطَانِي صَاحِبُ الْمَعْمَلِ قِطْعَةً مِنْ هَذَا الْخَيْطِ، فَشَدَّدْتُهُ شَدَّدًا بِسِيطًا فَانْقَطَعَ، أَمَا عِنْ التَّبَرِيدِ ثُمَّ التَّسْخِينِ وَإِعْدَادِ الْكَرَّةِ فَإِنَّ هَذَا الْخَيْطَ يَثْبِتُ وَيَصْبِهِ عَاصِيًّا وَمِنْتَنِيَا، فَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَ فِي الدُّنْيَا يَسُوقُ لِلْمُؤْمِنِ مِنَ الشَّدَائِدِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَكِيمٌ يَسُوقُ لَكَ مِنَ الشَّدَّةِ الَّتِي تَحْتَمِلُهَا ؛ يَسُوقُ لَكَ شِدَّةَ وَيَرْسِلُ لَكَ مَنْ يَعْظِمُكَ، يَفْتَحُ لَكَ بَابَ الدُّعَاءِ فَتَدْعُوهُ وَيُنْجِيَكَ مِنَ هَذِهِ الشَّدَّةِ، وَبِهَا تُصْبِحُ لَكَ خَيْرًا مَعَ اللَّهِ تَعَالَى، مُمارَسَةً، فَكُلُّ مُشْكِلَةٍ تُقْوِيَ إِيمَانَكَ إِلَى أَنْ يَأْتِيَ وَقْتٌ لَوْ أَنَّ أَهْلَ الدُّنْيَا جَمِيعُهُمْ كَفَرُوا لَنْ تَكُفُّرَ، وَلَوْ أَنَّ كُلَّ الضُّغُوطِ اجْتَمَعَتْ عَلَيْكَ تَقُولُ : أَحَدُ أَحَدَ، وَاللَّهُ الصَّمَدُ، أَمَا إِنْ لَمْ تَتَعَوَّدْ عَلَى الشَّدَائِدِ فَأَوْلَى ضَغْطٍ أَوْ إِغْرَاءٍ تَتَحْلِ ! فَرَبَّنَا عَزَّ وَجَلَ جَاءَ بِنَا إِلَى الدُّنْيَا لِيَمْتَحِنَنَا وَلِيُرَبِّنَا، فَهُلْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهَا جَامِعَةٌ يُقْدِمُ فِيهَا الطَّالِبُ طَلَبَ اِنْتِسَابٍ وَيُصْبِحُ أَحَدُ طَلَابِهَا، وَآخِرُ السَّنَةِ يَطْلُبُ الطَّالِبُ طَلَبًا يَقُولُ فِيهِ : أَنَا وَاثِقٌ مِنْ عِلْمِي لَذَا يُرْجِحُ مَنْحِي الشَّهَادَةِ ؟ فَهَذِهِ الْجَامِعَةُ لَا تَوْجِدُ عَلَى الإِطْلَاقِ ؛ دُونَ أَنْ يُقْدِمَ الطَّالِبُ فَحَصَّا تُمْنَحُ لَهُ شَهَادَةٌ ! وَلَنْ تَكُونَ لَهُذِهِ الشَّهَادَةِ قِيمَةً إِطْلَاقًا، فَالْآيَةُ الْكَرِيمَةُ :

﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا أَمْنًا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢)﴾

[سورة العنكبوت]

صَلَّى وَصَامَ وَحْجَ وَزَكَّى، وَأَمْوَارُهُ سَهْلَةٌ وَمُيْسَرَةٌ لَكِنَّ النَّفْسَ فِيهَا مَلِيُونَ مَرْضٌ نَفْسِيٌّ، يَسُوقُ اللَّهُ لَكَ شِدَّةَ تَجْعَلُكَ لَا تَعْتَرِ بِنَفْسِكَ وَيَسُوقُ لَكَ شِدَّةَ لِيُنْجِيَكَ مِنَ الْمَرْضِ، فَهَذَا أَحَدُ الْأَغْنِيَاءِ قَالَ : كُلُّ شَيْءٍ يُحَلُّ بِالْمَالِ ! وَالدَّرَاهِمُ مِنْ رَاهِمِهِ، فَسَيِّقَ إِلَى السِّجْنِ وَبَقِيَ فِيهِ سِتِّينَ يَوْمًا وَتَأْتِيهِ الْخَوَاطِرُ ؛ هُلْ يُنْحَلُّ هَذَا بِالْمَالِ ؟ ! وَقَدْ كَانَ بِرِيَّاً مِنْ هَذِهِ التَّهْمَةِ فَهَذَا تَأْدِيبٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَ، فَهَذِهِ الْآيَةُ تَدْخُلُ بِحَيَاةِ الْيَوْمِيَّةِ :

﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا أَمْنًا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢)﴾

[سورة العنكبوت]

يَقُولُ لَكَ : وَاللَّهُ لَوْ تَرَوْجَتْ لِأَجْعَلَنَ زَوْجِي خَالِمَةً لِأَمْيِي ! مُجَرَّدَ كَلَامٌ إِذَا تَرَوْجَ، يَأْتِي ظُهْرًا فَيَجِدُ مُشْكِلَةً بِالْبَيْتِ، يُلْقِيَتُ لِأَمْيِهِ وَيَقُولُ لَهَا : كُلُّ الْبَلَاءِ مِنْكَ !!! آثَرَ شَهْوَتَهُ عَلَى أُمِّهِ، وَالْإِنْسَانُ مَعَ الْحَقِّ دَائِمًا فَقَدْ سُئِلَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : مَنْ أَعْظَمُ النَّاسِ حَقًا عَلَى الْمَرْأَةِ ؟ قَالَ : زَوْجُهَا، وَذَلِكَ يَقُولُ لَكَ : وَاللَّهُ لَوْ رَزَقْنِي اللَّهُ مَا لَأَعْمَلَنَ كَذَا وَكَذَا، يُصْبِحُ مَعَهُ الْمَالُ، وَتَأْتِيهِ لَجْنَةٌ فَيَقُولُ لَهَا : مَعْنَا التَّزَامَاتِ !! وَهُوَ مَعَهُ الْمَلَيِّنُ، فَأَيْنَ كَلَامُهُ السَّابِقُ، وَذَلِكَ يَقُولُ لَكَ : إِذَا تَرَوْجَتْ أَغْصَنْ بَصَرِيِّ، فَإِذَا بَهُ بَعْدَ الزَّوْاجِ يَنْظَرُ أَكْثَرَ، امْتَحَنَ وَرَسَبَ وَالْآخَرُ يَقُولُ : لَمَا أَصْبَحَ غَنِيًّا أَبْنِي جَامِعًا،

فَلِمَّا اغْتَنَى بَنِي مُلْهَىٰ ! فَكُلَّ وَاحِدٍ يُمْتَحَنَ امْتِحَانًا دَقِيقًا ، وَلَا يَنْجُو مِنَ الْامْتِحَانِ بِمَا فِيهِمُ الصَّحَابَةُ
الْكَرَامُ حَتَّى قَالَ أَحَدُهُمْ : مَا وَعَدْنَا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِلَّا غُرُورًا ، قَالَ تَعَالَى :
 ﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَاجَرَ وَتَظَنَّوْنَ
 بِاللَّهِ الظَّنُونَ﴾ (١٠)

[سورة الأحزاب]

حَتَّى قَالَ بَعْضُهُمْ : أَيَعْدُنَا صَاحِبُكُمْ أَنْ تُفْتَحَ عَلَيْنَا بِلَادِ قِيَصَرِ وَكِسْرَى وَأَحَدُنَا لَا يَأْمُنُ أَنْ يَقْضِيَ
حَاجَتَهُ ، عَشْرَةُ آلَافٍ مُقَاتِلٍ مَا اجْتَمَعَتْ فِي أَنْهَاءِ الْجَزِيرَةِ جَاءُوا لِيُسْتَأْصِلُوا الْمُسْلِمِينَ ، وَتَعَاوَنَ
مَعْهُمُ الْيَهُودُ وَانْكَشَفَ ظَهُورُ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، وَصَدَّقُونِي حَسْبُ الْمَنْطَقِ التَّارِيْخِيِّ
الْإِسْلَامِ بَقَى مُجَرَّدَ سَاعَاتٍ ! الرِّسَالَةُ مَعَ الدَّعْوَةِ مَعَ النَّبِيِّ وَالْوَحْيِ ! قَالَ تَعَالَى :
 ﴿هُنَّاكَ أَبْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ (١١)

[سورة الأحزاب]

فَالْإِنْسَانُ إِذَا أَيْقَنَ أَنَّ اللَّهَ يَفْتَحُ عَلَيْهِ بِالْإِسْلَامِ ، وَيُصْبِحُ فِي بَحْبُوحَةٍ ، وَيُعْطِيهِ زُوْجَةٌ صَالِحةٌ وَمَالًاٌ
وَفِيرًا ، وَتِجَارَةٌ رَائِجَةٌ ، وَصِحَّةٌ تَامَّةٌ ؛ هَذَا وَهُمْ !! نَحْنُ فِي دَارِ الْبَلَاءِ لَا فِي دَارِ جَزَاءٍ ، لَكِنَّ
الْمُؤْمِنُ يَسْعَدُ فِي الدُّنْيَا لِأَنَّهُ يَشْعُرُ أَنَّهُ رَاضٍ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، يَشْعُرُ بِالْطَّمَآنِيَّةِ وَالرِّضَى الدَّاخِلِيِّ أَمَّا
الْمُؤْمِنُ فَهُوَ مُعَرَّضٌ لِلْبَلَاءِ ، ذَلِكَ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ حُذَيْفَةَ عَنْ عَمَّتِهِ
فَاطِمَةَ أَنَّهَا قَالَتْ :

((أَتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَعْوَدُ فِي نِسَاءٍ فَإِذَا سِقَاءُ مُلْقُ نَحْوَهُ يَقْطُرُ مَاءُ عَلَيْهِ
مِنْ شِدَّةِ مَا يَجِدُ مِنْ حَرَّ الْحُمَّى قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ دَعَوْتَ اللَّهَ فَشَفَاكَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ مَنْ أَشَدَّ النَّاسَ بَلَاءَ النَّبِيَّ إِثْمَ الدِّينِ يَلُونُهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ
يَلُونَهُمْ))

[رواية أحمد]

فَهَذِهِ الْآيَةُ دَقِيقَةٌ :

﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتَرَكُوا أَنْ يَقُولُوا أَمْنًا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ (٢)

[سورة العنكبوت]

تُمْتَحَنُ بِمَا لَكَ وَأَوْلَادَكَ وَبِالْغَنِيِّ وَالْفَقْرِ ، وَالْفَقْرُ أَصْبَعُ ، فَقَدْ يَمْدُدُ بِدُهُ لِلْحَرَامِ ، وَيَقُولُ لِكَ : عَنِّي
أَوْلَادٌ ! امْتَحِنَ فَرَسَبَ ، وَامْتَحِنَ بِالْغَنِيِّ فَرَسَبَ ، وَامْتَحِنَ بِالزَّوْاجِ فَنَظَرَ لِلْأَجْنبِيَّاتِ وَامْتَحِنَ بَعْدَ
الزَّوْاجِ فَزَلَّتْ قَدَمُهُ ، وَالْمُؤْمِنُ مُنِيبٌ وَمُسْتَقِيمٌ قَبْلَ الزَّوْاجِ وَبَعْدُهُ ، وَفِي الْغَنِيِّ وَالْفَقْرِ فَهُوَ فِي الرَّخَاءِ
صَبَورٌ ، وَفِي الشِّدَّةِ صَبَورٌ قَانِعًا بِالذِّي لَهُ وَلَا يَنْظَرُ لِمَا لَيْسَ لَهُ ، قَالَ تَعَالَى :

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ (٣)

[سورة العنكبوت]

تُقدِّم طلباً للانتساب إلى الجامعة، وفي آخر السنة تُقدِّم طلباً آخر يُرجى منحه شهادة الليسانس !! دون أن تُقدِّم امتحانات ! هل يعقل أن يعطيك الشيخ شهادة حفظ القرآن دون أن يمتحنك ! من أول القرآن ومن وسطه ومن آخره، فكيف خالق الكون ؟ قال تعالى:

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (٤)

[سورة العنكبوت]

فقد يسبح الإنسان باتجاه النهر، وهذا شيء سهل، وبأدني جهد يقطع أطول مسافة، ولكن البطولة في السباحة أن تسبح معاكسًا لاتجاه النهر فقد تأتي الظروف موافقة لطاعتكم الله تعالى، ولكن أحياناً توضع في ظرف صعب؛ إما أن تعصي الله تعالى، وإما أن تقع في مشكلة ماذا تقول؟ سألني أحدهم: التأمين ما حكمه؟ فقلت له: هناك كلي وآخر إجباري ! فلغى التأمين، في اليوم الثاني ضرب سيارته فدفع مائة وثمانون ألف ليرة !! فجاعني وعاتبني وقال: لو أتنى ما سألك لما دفعت هذا المبلغ ! وتلأم، فقلت له: والله، إن الله قد امتحن إيمانك فباع السيارة، واشترى فيها بيتك، وأقسم لي قبل شهر أنه باعها بما يزيد عن أربع مائة ألف عن سعرها الحالي، وربح في البيت ثلاثة ألف، ففي أول الأمر كان الأمر قاس، ودفع مائة وثمانون ألف فالامتحانات موجودة، ولا ينجو منها أحد، وأحياناً الأشياء متساوية وسهلة، وكل الربح بالمعصية، وإذا هذه حرام وهذه حرام لما بقي شيء ! لو أن الحال سهل لأقبل الناس إليه لا لأنهم، ولكن لأنهم سهل ولو أن الحرام صعب لتركه الناس لا لأنهم حرام ولكن لكونه صعباً فمثلاً قبل عشرين سنة لو الواحد سافر ودعنته امرأة ذات جمال ومنصب، وقال: إني أخاف الله رب العالمين لأخذ عليها مليار أجر أما الآن فلا يخاف من المعصية ولكن يخاف من الإيدز ! قال تعالى:

﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَخَذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أُولَيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِكَافِرِينَ نَرُكًا﴾ (١٠٢)

[سورة الكهف]

وطن نفسك؛ جنة عرضها السموات والأرض دون امتحان ولا أجر ولا جهد ! مستحيل، ألا إن سلعة الله غالبة فلو أن أحدهم أراد أن يفتح أكبر محل غسالات، ووجه موضوع الكمبيوتر غالبي، وصعب تركيبه وحينها أصبح يلغى كل شيء يعتريه صعباً لأصبحت هذه الغسالة علبة وكذا إذا أراد الإنسان أن يكون الإسلام رخاء وسروراً وموالد واحتفالات، لو جئتني بصلبي مثل الصنم، ولكن لما يدفع ثمن الدين غالياً وحينما يؤثر الله ورسوله والدار الآخرة ويتحمل المتاعب عندها يعطيه الله الدنيا والآخرة.

لذا هذه الآية أساسية في حياة المؤمن ؛ قال تعالى:

﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا أَمْنًا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ (٢)

[سورة العنكبوت]

قد تدعى لحفل كبير ولكن فيه اختلاط، وأحياناً دعوى فيها منكرات وأخرى دجل، فالإنسان عليه أن يحتاط، وإن هذه الدنيا دار التواء لا دار استواء، ومنزل تراث لا منزل فرح، فمن عرفها لم

يُفْرَح لِرَخَاءٍ وَلَمْ يَحْزُن لِشَقَاءٍ، وَجَعَلَهَا اللَّهُ دَارَ بُلْوَى، وَجَعَلَ الْآخِرَةَ دَارَ عَقْبَى فَجَعَلَ بَلَاءَ الدُّنْيَا لِعَطَاءِ الْآخِرَةِ سَبِيلًا، وَجَعَلَ عَطَاءَ الْآخِرَةِ مِنْ بُلْوَى الدُّنْيَا عَوَضًا، فَيَأْخُذُ لِيُعْطِي وَيَبْتَلِي لِيُجْزِي.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ